الاحتلال الاسرائيلي . لقد كانت اجراءات اسرائيل الارهابية في القطاع والتي توجت بعمليات التفريغ افضل دليل على التفاف الجماهير العربية الفلسطينية من حول الثورة ودليل على جماهيرية الثورة واصالتها . فقد فشلت كل الاجراءات الاسرائيلية القمعية وكذلك كل محاولات الترغيب في عزل المقاومة عن الجماهير فلم تجد سلطات الاحتلال من سبيل غير تشتيت الجماهير نفسها علها بذلك تستطيع فك اللحمة الثورية فيما بينها واضعاف مقاومتها وتجريدها من سلاحها . ان هذا الوضع وفي قطاع غزة بالذات ، والذي قال عنه بعض العرب ممن اعتبروا انفسهم مفكرين استراتيجيين انه ساقط استراتيجيا ، ان هذا الوضع الثوري في قطاع محاط بالصحراء والبحر والمستعمرات الاسرائيلية ومحصور في شريط ساحلي ضيق ، ان استمرار هذا الوضع رغم النكسات التي اصابت الثورة في الاردن في ايلول وما بعد ايلول ، لاكبر دليل على ان الثورة لم تنهزم وان جذوتها لم تنطفىء ، وان قدرتها على الحاق الاذى وانهاك العدو الاسرائيلي لم تضعف بل انها تزداد . ومن ناحية ثانية ، فان تزايد العمليات الفدائية داخل الارض المحتلة منذ العام ١٩٤٨ ، تزايدها بعد ايلول بالذات لدليل آخر على قوة الثورة واستمراريتها . لا نريد بذلك القول بأن الثورة هي في احلى ايامها بل نقول ان الثورة، رغم ما اصابها من ضربات قاتلة في كثير من الاحيان، لم تفشل..ولم تتوقف . المغالطة الثانية في كلام كمشي والتي تقول بأن الشباب المثقف يؤيد قيام الدولة الفلسطينية العميلة ، تدحضها الوقائع . لم يورد كمشي اي اثبات ليدلل على صحة هذا الكلام ولم يقل كيف وصل الى هذا الاستنتاج . ان من تحرك ولا يزال يتحرك في الضفة الغربية من اجل قيام هذه الدويلة العميلة ، كان الطاقم السياسي التقليدي الذي ارتبط تاريخيا بسلطات الانتداب البريطاني ثم بالنظام الاردني ، ثم تعاون مع سلطات الاحتلال الاسرائيلي . وقد ثبت بأن هذا الطاقم لم يستطع ان يستقطب الجماهير الفلسطينية وان كل تحركاته تتم تحت حراب سلطات الاحتلال وفي حمايتها وبتنسيق كامل معها. ومن ناحية اخرى فقد ثبت من خلال آلاف المعتقلين من ابناء الشعب الفلسطيني ومن خلال مئات بل آلاف الشهداء ، ان الشباب الفلسطيني المثقف داخل الارض المحتلة وخارجها يقف مع الثورة ويلتف حولها وحول اهدافها وبرامجها . اما القول بأن هناك شعورا عاما بأن المقاومة لن تؤدي ابدا الى هزيمة اسرائيل اذا استمرت ، اي المقاومة ، في سياستها الحالية ، فقول لا نعرف كذلك كيف وصل اليه جون كمشي الكاتب الشهير . ان هذا القول ينطلق من المعزوفة الاسرائيلية التي ما برحت تتردد منذ حزيران ١٩٦٧ وتقول بأن اسرائيل لا تقهر . والجواب على ذلك هو ان الشعوب التي تناضل من اجل قضاياها العادلة هي التي لا تقهر وهي التي ستتغلب على القوى المعادية لامانيها وحقها في تقرير مصيرها طال الزمن او قصر ومثال فيتنام ماثل امامنا .

ويصل جون كمشي في نهاية دراسته الى ما يريد في الاصل قوله والتبشير به الا وهو الدعوة الى « وجود فلسطيني » ما بموافقة اسرائيل ومساعدتها وبالتالي بحمايتها ولهذا نراه يقول بأن الحل الوحيد الدائم للنزاع بين اسرائيل والثورة الفلسطينية يجب ان ينطلق من «الادراك بأن النجاح العسكري الذي حققه الاسرائيليون حتى الان يعطيهم فرصة نادرة للتقدم باتجاه هذا الهدف» الذي يقوم على التعايش المستقل لكن المقبول من الطرفين والذي يأمل كمشي ان يأخذ شكل « دولة فلسطينية مرتبطة فدراليا مع اسرائيل وليس مع الاردن » . وهكذا يتضح القصد الحقيقي من وراء كل الحجج التي أوردها كمشي : انها حجج طرحت للوصول بالقارىء الى القبول بفكرة « فلسطينستان » في الضفة الغربية . وهي فكرة رفضتها الثورة الفلسطينية ولا تزال ولا علاقة حاسمة بين رفض الفكرة ومستوى قوة او فاعلية الثورة اي ان الثورة حتى لو وصلت الى ادنى درجات الضعف ، فان ذلك لا يعني بأنها ستقبل بدولة عميلة وتتنازل عن تحرير الارض الفلسطينية بكاملها . كان كمشي وغيره من الكتاب الصهيونيين يرفضون في البدء الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني ولما بدا الشعب الفلسطيني ثورته المسلحة ، بدا كمشي وبعض الكتاب الصهيونيين الذين يحاولون الظهور بمظهر موضوعي يعترفون بهذا الشعب وبحقه في « الوجود » ولكنهم ارادوا في الواقع من وراء هذا الاعتراف اجهاض ثورته والسيطرة عليه من طريق اقامة كيان ذليل تابع لاسرائيل .

ابراهيم العابد